معالم القرآن والسنة
مجلة محكمة
السنة الخامسة، العدد السادس، ٢٠١٠

نورناجحان بنت جعفر

مرتكزات في منهج الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسير "التحرير والتنوير"

Abstract

This paper attempts to discuss the biography of Shaykh Ibn 'Ashur and selected features of his methodology of Quranic exegesis as applied in Tafsir *al-Tahrir wa al-Tanwir*. In the first part, aspects of his life, educational background, social activities and career, as well as his academic contributions are highlighted based on the primary sources on the matter. In the second part, the focus is on presenting the prominent features of his methods in Quranic exegesis as applied in his *tafsir* work. As a result, seven of such features have been identified. These include emphasizing on the role of *asbab al-nuzul*, semantic dimensions of Quranic words and phrases, Prophetic traditions, and so on to interpret the Quran based on contemporary life situations.

المقدمة

ذكر الشيخ ابن عاشور جملة من أسباب إقباله على تفسير كتاب الله عز وجل، حيث قال في المقدمة : "إن فناً من فنون القرآن لا تخلو عن دقائقه ونكته آية من آيات القرآن، وهو فن دقائق البلاغة. هو الذي لم يخصه أحد من المفسرين بكتاب، كما خصوا الأفانين الأخرى، من أجل ذلك إلتزمتُ أن لا أغفل التنبيه على ما يلوح لي في هذا الفن العظيم في آية من آي القرآن كما ألهمته بحسب مبلغ الفهم وطاقة التدبر" [١].

١- محمد الطاهر ابن عاشور. التحرير والتنوير. د. م : مؤسسة التاريخ، ط١، د. ت. جـ١، ص٧.

بدأ الشيخ ابن عاشور تفسيره بمقدمات عشر، اشتملت على عدد من القضايا التفسيرية المهمة المتعلقة بعلوم القرآن. ويعتبر تفسير "التحرير والتنوير" من التفاسير لتحليلية إلا أن المؤلف يبدأ تفسير كل سورة بمقدمة يبين فيها اسم السورة أو أسمائها إن تعددت، ووجه تلك التسمية مستنداً إلى ما اشتهر في كتب السنة، والتفسير، وما اشتهر بين القراء وفي المصاحف.[٢]

ثم يبين الشيخ ترتيب السور حسب نزولها، ناقلاً وممحصاً ومرجحاً، ففي سورة الأعراف قال : "وهي معدودة، التاسعة والثلاثين في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد، أنها نزلت بعد سورة "ص" وقبل سورة الجن.[٣]

ثم يبين عدد آياتها، والخلاف المروي فيها، قال في سورة الأعراف : "وعدد آي سورة الأعراف مائاتان وست آيات في عد أهل المدينة والكوفة، ومائتان وخمس في عد أهل الشام والبصرة، قال في الإتقان وقيل : مائتان وسبع".[٤]

ثم بعد ذلك ينتقل إلى أغراض السورة، وما فيها من أحكام ومقاصد باستيعاب. ففي سورة الأعراف يذكر : "افتتحت هذه السورة بالتنوية بالقرآن والوعد بتيسيره على النبي ﷺ ليبلغه. كان افتتاحها كلاما جامعا، وهو مناسب لما اشتملت عليه السورة من المقاصد، فهو افتتاح وارد على أحسن وجوه البيان شأن السورة. وتدور مقاصد هذه السورة على محاور متنوعة؛ منها : النهي عن اتخاذ الشركاء من دون الله، وإنذار المشركين عن سوء عاقبة الشرك في الدنيا والآخرة، ووصف ما حلّ بالمشركين والذين كذبوا الرسل، من سوء العذاب في الدنيا، وما سيحل بهم في الآخرة ...إلخ".[٥]

كان تفسير الشيخ ابن عاشور يعتبر التفسير العام، لا يتخصص بجانب معين،

٢- هايا ثامر مفتاح العلي. الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير. ص٣٢٥.
٣- محمد الطاهر ابن عاشور. التحرير والتنوير. جـ٩، ص٥ - ٩.
٤- المصدر نفسه. جـ٩، ص٥ - ٩.
٥- المصدر نفسه. جـ٩، ص٥ - ٩.

وإنما مبني على أسس الثلاثة : المأثور، الرأي، واللغة. وإذا أردنا أن نصنف هذه الأسس بحسب أهميتها، فهي : اللغة — الرأي – المأثور.[٦]

وقد استفادت الباحثة من علمه وآرائه القيمة مما كان له الأثر الأكبر في توجيه هذه الدداسة. وأَسْأَلُ الله تعالى أَنْ يجيزه بأحسن الجزاء، وأن يجعل أَعْمَالنا جميعا خالصة لوَجْهه الكريم، إنَّه هُوَ العَزِيز الحَكيم.

التعريف به

هو أبو عبد الله محمد الطاهر بن محمد بن الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور.[٧] يمتد نسب محمد الطاهر بن عاشور إلى إحدى الأسر الأندلسية النازحة إلى المغرب، التي أنجبت شيوخا أعلاما، مثل الشيخ أحمد ابن عاشور،[٨] ومحمد الطاهر بن عاشور، ومحمد الفاضل بن عاشور.

كانت ولادته بضاحية المرسى من أحواز تونس الشمالية في جمادى الأولى ١٢٩٦هـ (سبتمبر ١٨٧٩م) في قصر جده محمد العزيز بوعثور.[٩] ومنذ هذه

---

٦ – هايا ثامر مفتاح العلي. الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير. ص٣٣٣.

٧ – أحمد ابن أبي الضاف. اتحاف أهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الأمان. تونس : لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافة الاخبار، د. ط، ١٩٦٤م. جـ٧، ص١٦٥.

٨– هايا ثامر مفتاح العلي. الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير. قطر : دار الثقافة، د. ط، ١٩٩٤م. ص١٩ – ٢٤، ومحمد بن محمدالأندلسي. الحلل السندسية في الأخبار التونسية. تونس : الدار التونسية للنشر، د. ط، ١٩٧٠م. جـ١، ص٧٧. ستجد المناقشة الطويلة حسب نسب ابن عاشور.

٩– هو الذي كان وزيرا في عهد الأمير الصادق؛ لقد شارك الوزير خير الدين في خطته الإصلاحية وفي تنظيم التدريس بجامع الزيتونة، وأتم ما ابتكره ابن أبي الضياف من قواعد الإنشاء وأساليب الكتابة والمخاطبات الرسمية مما يسمونه "البروتوكول" إلى أن تقلد الوزارة الكبرى سنة ١٨٨٢م. وكان من المشاركين في إصلاح التعليم بجامع الزيتونة. ابن الخوجة، محمد. صفحات من تاريخ تونس، تحقيق : حمادي الساحلي والجيلاني بن يحي. بيروت : دار الغربي السلامي، ط١، ١٩٨٦. ص ٤٢٢– ٤٣٧.

الولادة كفله جده. ولقد كان لهذا الجد الأثر الأكبر في حياة ابن عاشور الطفل المتعلم، ورجل المجتمع الناضج.

نشأته وتعلمه وشيوخه

لما بلغ السادسة من عمره شرع في تعلم القرآن بمترله شأن أمثاله عادة آنذاك حيث خصصت في الناحية الخارجية من المترل غرفة تدعى "بيت الكتاب" معدة ليحفظ بها القرآن أطفال العائلة ومن ينضم إليهم من أطفال الأقارب والأصحاب. ثم تعلم ما تيسر من اللغة الفرنسية، وفي عام ١٨٩٣م دخل جامع الزيتونة الكبير، واجدا في شيوخه التوجه العلمي والأدبي اللائق حيث يقول ابن عاشور في شأنهم : "إني أشكر ما منحت به من إرشاد قيم من الوالد، والجد، ومن نصحاء الأساتذة، ولا غنى عن الاستزادة من الخير".[١٠] درس بحرس شديد لمدة سبع سنوات في جامع الزيتونة حتى ربيع الأول سنة ١٨٩٩م. درس خلال هذه المدة العلوم الإسلامية والعربية على يد شيوخ أفذاذ.[١١]

وذكر شيوخه ابن أبي الضياف عقب ترجمة ابن عاشور : "فأخذ عن أخيه أبي عبد الله محمد بن عاشور، وعن شيخنا أبي عبد الله محمد بن ملوكه، وكان يستنجبه ويقدمه، وعن شيخنا العلامة أبي عبد الله محمد بن الخوجة، وعن شيخ الشيوخ أبي إسحاق إبراهيم الرياحي، وعن شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بيرم الثالث، وعن الشيخ المفتي أبي عبد الله محمد المعاوية".[١٢] ومن الشيوخ الآخرين لابن عاشور الحبيب بن الخوجة، ومحمد

١٠- محمد الطاهر ابن عاشور. أليس الصبح بقريب. تونس : الشركة التونسية للتوزيع، د. ط، ١٩٦٧م. ص٩.

١١- إسماعيل الحسني. نظرية المقاصد عند محمد الطاهر بن عاشور. فدجينيا : المعهد العالمي للفكر الإسلامي، د. ط، ٩٩٥م. ص٨٠.

١٢- أحمد ابن أبي الضاف. اتحاف أهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ص١٦٥.

النخلي، ومحمد صالح الشريف محمد العربي الدرعي، وأحمد جمال الدين، ومحمد الطاهر جعفر، وأحمد بن وناس المحمود.[١٣]

عصر محمد طاهر بن عاشور

عاش ابن عاشور مرحلتيَن من تاريخ تونس الحديث والمعاصر، الأولى تُمثل مرحلة الاحتلال العسكري الفرنسي المباشر (١٨٨١م – ١٩٥٦م). أما المرحلة الثانية فهي مرحلة الحصول على الاستقلال السياسي (١٩٥٦م – ١٩٧٣م)، وهي السنة التي توفي فيها.[١٤]

أولاً : مرحلة الاستعمار

تميزت هذه المرحلة بجملة من التحولات الكبرى التي عرفتها تونس وغيرها من البلاد الإسلامية، مثل ضعف الإمبراطورية العثمانية، وتكالب الدول الاستعمارية على بلدان العالم الإسلامي.[١٥] ومن أهم الأحداث التي مرت بها في ذلك العصر، هي محاولة فرنسا إغراء التونسيين على التجنس بالجنسية الفرنسية، بعد أن استصدرت السلطات الفرنسية فتوى بأن هذا العمل لا يتعارض مع الدين الإسلامي. ونتج عن ذلك ردود فعل هذه البلدان، التي انتهضت للمواجهة الشاملة ضد الاستعمار. ويبدو أن أبرز تلك التحولات التي عايشها ابن عاشور هي :

١٣– محمد الفاضل ابن عاشور. تراجم الأعلام. تونس : الدار التونسية للنشر، د. ط، د. ت. ص٤٥٥. ومحمد حسين مخلوف. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. بيروت : دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٣٢م. ص٤١٩. ومحمد النفير. عنوان الأريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب. تونس : المطبع التونسية، ١٨٣٥م. جـ٢، ص٨٩.

١٤– العتيق الصحجي. التفسير والمقاصد عند الشسخ محمد الطاهر بن عاشور. تونس : دار السنابل، ط١، ١٩٨٩م. ص١١.

١٥– محمد السروجي. العلاقات التونسية الفرنسية. الإسكندرية : مطبعة المصري، د. ط، د. ت. ص٢٠٧ – ٢٠٨.

١. تأثير الحركات الإصلاحية المشرقية

كانت الأعداد الأولى من جريدة "العروة الوثقى" بريد الحركة الإسلامية المشرقية إلى نظيرتها في المغرب العربي. وقد تمكن الإمام محمد عبده من تفعيل الحركتين الإصلاحيتين بزيارتين تاريخيتين للبلاد التونسية، الأولى كانت سنة ١١٨٨٣م، والثانية كانت سنة ١٩٠٣م، وهي السنة التي التقى فيها محمد الطاهر بن عاشور بالشيخ الإمام. ويعد في هذا الإطار كتابه "أليس الصبح بقريب" أكبر شاهد على التفاعلات السالفة.[١٦]

٢. الآثار الفكرية لخير الدين التونسي

تميزت المرحلة أيضا وتماشيا مع الصدى الذي خلّفه فكر خير الدين التونسي، بالطباعة والنشر في تنشيط العمل الإصلاحي في الميدانين الفكري والصحافي، مثل طباعة كتاب "الموافقات"، أول طبعة من هذا الكتاب صدرت بتونس سنة ١٨٨٤م. وإنشاء كل من جمعية الخلدونية وجمعية قدماء الصادقية من أجل الاستفادة من علوم العصرالجديد.[١٧]

٣. المواجهة المباشرة

عاش ابن عاشور على مستوى المواجهة المباشرة مع المستعمر الفرنسي، مثل حادثة "الزلاج وحادثة "الترام" سنة ١٩١٢م وثورة ابن عسكر ضد طغيان السلطة الفرنسة سنة ١٩١٥م، وغيرها من المواجهات المباشرة.[١٨]

١٦- البشير ابن عثمان. أضواء على تاريخ التونسي. تونس : دار بوسلامة للطباعة، ط١، د. ت. ص٢٧٢. ومحمد الفاضل ابن عاشور. الحركة الآدبية والفكرية في تونس. القاهرة : نشر معهد الدداسة العربية، د. ط، ١٩٥٦م. ص٥٣.

١٧- عبد الله الطاهر. الحركة الوطنية التونسبة. تونس : دار المعرفة، د. ط، د. ت. ص ١٨.

١٨- رشيد الذاودي. أدباء تونسيون. تونس : د. ن، ط١، ١٩٧٢م. ص٣٠.

٤. الترتيبات الإصلاحية في مجال التعليم

وقد فصل القول فيها ابن عاشور في كتابه "أليس الصبح بقريب".

ثانياً : مرحلة الاستقلال

تعد هذه المرحلة أطول زمنا من الأولى، ولقد تميزت بالإجهاز على التعليم الزيتوني، وفصل تونس عن الفضاء الإسلامي والعربي، واتجه إلى إحياء التراث القرطاجني وحتى الروماني، وقُزِّم التاريخ العربي الإسلامي وهشمت المسألة الدينية إلى درجة الاستهزاء بمكوناتها في الخطب الرسمية وفي المؤسسات العلمية. ومن آثار ذلك أن أصبح الزواج على سبيل المثال لا ينعقد إلا بعد وقوف المتعاقدين أمام رئيس المجلس البلدي، ويتعذر عليهما فسخ العقد إلا بعد حصول إجراءات قانونية.[١٩]

نشاطه الاجتماعي ووظائفه

لقد مرت حياة الشيخ ابن عاشور بأدوار عديدة وتقلب الشيخ في وظائف متعددة؛ توزعت في مجالات ثلاثة، وهي :

١ - **مجال الإدارة** : ومن الأعمال الإدارية التي باشرها ابن عاشور؛ الاعتناء بضبط المخطوطات في كل من جامع الزيتونة والمكتبتين العبدلية والصادقية (١٩٠٥م)، وتعيينه نائبا للدولة لدى النظارة العلمية في الجامع الأعظم (١٩٠٧م)، وعيِّن مفتيا (١٩٢٤م)، وغيرها.[٢٠]

١٩- إسماعيل الحسني. نظرية المقاصد عند محمد الطاهر بن عاشور، ص٧٩.

٢٠- الصادق الزمرلي. أعلام تونسيون، تحقيق : حمادي الساحلي. بيروت : دار المغرب الإسلامي، ط١، ١٩٨٦م. ص٣٦١.

٢ - **مجال الإصلاح** : من أبرز الأعمال الإصلاحية التي قام بها، توليه منصب مدير الجامع الأعظم للزيتونة، وأما أهم إنجازاته في مجال إصلاح التعليم الزيتوني، فهي الاهتمام بجامع الزيتونة وفروعه فكان يسافر إليها ويتفقد أحوالها، والالتفاف إلى سكنى الطلبة حيث أسس لها إدارة محكمة تعنى بشـــؤون الطلبة، ووضع برنامجاً جديداً للتعلم الزيتوني.[٢١]

٣ - **مجال التدريس** : بدأ أعماله في مجال التدريس منذ سنة ١٩٠١م بوصفه مدرساً متطوعاً. سعى في هذا المجال إلى إحياء بعض العلوم العربية وتدريس بعض الكتب العالية مثل كتاب "دلائل الإعجاز" للجرجاني في البـــلاغة، وكتاب "شرح المحلى لجمع الجوامع"، وكتاب "تنقيح الفصول" للقرافي، وكتاب "مقدمة ابن خلدون". ومن شدة نشاطه أنه ما درس مادة إلا وضع فيها كتابا.[٢٢]

آثاره العلمية

كان ابن عاشور كثير التأليف. كان بعض مؤلفاته مطبوعاً، وبعضه مخطوطاً. ولم يقتصر تأليفه في مجال خاص من المجالات العلمية، بل شمل تأليفه جوانب متنوعة من العلوم، ومن مؤلفاته المطبوعة هي : في التفسير : "التحرير والتنوير"؛ وفي الحديث ومصطلحه : "كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ"، و"النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح"؛ وفي الفقه والأصول : "مقاصد الشريعة الإسلامية"، و"تحقيقات والأنظار"، و"الوقف وأثره في الإسلام"؛ وفي النقد والآداب : "سرقات المتنبى"، و"ديوان النابغة الذبياني"، و"أصول الإنشاء والخطابة"؛ وفي البلاغة : "موجز البلاغة"؛ وفي

٢١- هايا ثامر مفتاح العلي. الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتـــنوير، ص٥٧ - ٥٨.

٢٢- محمد محفوظ. تراجم المؤلفين التونسيين. بيروت : دار الغرب الإسلامي، د. ط، ١٩٨٢م. جـــ٣، ص٣٠٥.

السير : "قصة المولود"؛ وفي الاجتماعيات : "أليس الصبح بقريب"، و"أصول التقدم في الإسلام"، و"النظام الاجتماعي في الإسلام".[٢٣]

منهج ابن عاشور في التفسير

اهتمامه بأسباب النزول

رفض الشيخ في هذا الصدد اعتماد المفسرين على كثير من الروايات الضعيفة، حتى أوهموا كثيراً من الناس أن القرآن لا تنزل آياته إلا لأجل حوادث تدعو إليها. وقد قسّم الشيخ ابن عاشور أسباب النزول التي وردت بأسانيد صحيحة إلى خمسة أقسام، وهي :[٢٤]

أولاً : تفسير مبهمات القرآن

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ. وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾[٢٥]. قال الشيخ : "وقيل : أريد به الأخنس بن شريف الثقفي، واسمه أبي وكان مولى لبني زهرة من قريش وهم أخوال النبي ﷺ. وكان يظهر المودة للنبي ﷺ و لم ينضم إلى المشركين في واقعة بدر بل خنس أي تأخر عن الخروج معهم إلى بدر. وكان له ثلاثمائة من بني زهرة أحلافه فصدهم عن الانضمام إلى المشركين، فقيل : إنه كان يظهر الإسلام وهو منافق، وقال ابن عطية : لم يثبت أنه أسلم قط، ولكن كان يظهر الود للرسول. فلما

٢٣- هايا ثامر مفتاح العلي. الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره، ص٧٥ - ١١٨.

٢٤- محمد الطاهر ابن عاشور. التحرير والتنوير. جـ١، ص ٤٨ - ٤٩.

٢٥- سورة البقرة : الآيات ٢٠٤ - ٢٠٦.

انقضت وقعة بدر قيل : إنه حرق زرعاً للمسلمين وقتل حميراً لهم، فنزلت فيه الآية ونزلت فيه أيضاً [ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم].[٢٦]

ثانياً : حوادث تسببت في تشريع الأحكام

وصور تلك الحوادث لا تبين مجملا ولا تخالف مدلول الآية بوجه تخصيص أو تقييد. ومن هذا القبيل ما استشهد به الشيخ عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [٢٧]. قال الشيخ : "في البخاري فيما علَّقه عن معمر إلى عائشة قالت «كان رجال من الأنصار مِمَّن كان يُهل لمناة قالوا: يا نبي الله كُنا لا نطوف بين الصفا والمروة «تعظيماً لمناة». فلما فتحت مكة وأزيلت الأصنام وأبيح الطواف بالبيت وحج المسلمون مع أبي بكر وسعت قريش بين الصفا والمروة تحرج الأنصار من السعي بين الصفا والمروة وسأل جمع منهم النبي : هل علينا من حرج أن نطوف بين الصفا والمروة؟ فأنزل الله هذه الآية.[٢٨]

ثالثاً : حوادث تكثر أمثالها تختص بشخص واحد فنزلت الآية لإعلانها وبيان أحكامها

ما تجد بعض المفسرين وغيرهم يقولون : "نزلت في كذا وكذا، وهم يريدون أن من الأحوال التي تشير إليها تلك الحالة الخاصة فكأنهم يريدون التمثيل".[٢٩] قال الله تعالى : ﴿ لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [٣٠]. قال الشيخ : "قيل

٢٦- سورة القلم : الآيات ١٠ - ١١.

٢٧- سورة البقرة : الآية ١٥٨.

٢٨- محمد الطاهر ابن عاشور. التحرير والتنوير. جـ٢، ص٦٠.

٢٩- المصدر نفسه. جـ١، ص٤٨.

٣٠- سورة آل عمران : الآية ٢٨.

: إن الآية نزلت في «حاطب بن أبي بلتعه». كان من أفاضل المهاجرين وخلّص المؤمنين، إلا أنه تأول فكتب كتاباً إلى قريش يعلمهم بتجهيز النبي لفتح مكة.[٣١]

رابعاً : حوادث وقعت وفي القرآن آيات تناسب معانيها سابقة لها أو لاحقة بها

فيقع في عبارات بعض السلف ما يوهم أن تلك الحوادث هي المقصودة من تلك الآيات مع أن المراد أنها مما يدخل في معنى الآية. ويدل هذا النوع على وجود اختلاف كثير بين الصحابة في كثير من أسباب النزول.[٣٢] فعند قوله تعالى : ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٣٣]. قال الشيخ : "وقال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد : نزلت هذه الآية في الأنصار. كانوا في الجاهلية إذا كانت المرأة منهم مِقلاتاً أي لا يعيش لها ولد تنذر إن عاش لها ولد أن تهوّده، فلما جاء الإسلام وأسلموا كان من بين أبناء الأنصار يهودا فقالوا : لا ندع أبنائنا بل نكرههم على الإسلام، فأنزل الله تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾[٣٤].

خامساً : قسم يبين مجملات ويدفع متشابهات

من ذلك في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [٣٥]. قال الشيخ : "وقد ورد تفسير الظلم في هذه الآية بالشرك. في الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود لمّا نزلت ﴿ الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ شَقّ ذلك على المسلمين وقالوا : أيّنا لم يظلم نفسه؟ فقال

٣١- المصدر السابق. التحرير والتنوير. جـ٦، ص٣٥٦.

٣٢- المصدر نفسه. جـ١، ص٤٩.

٣٣- سورة البقرة : الآية ٢٥٦.

٣٤- محمد الطاهر ابن عاشور. التحرير والتنوير. جـ٣، ص٢٧.

٣٥- سورة الأنعام : الآية ٨٢.

لهم رسول الله ﷺ: ليس كما تَظُنّون إنّما هو كما قال لقمان لابنه : ﴿ إنّ الشرك لظلم عظيم ﴾ [٣٦]." [٣٧]

اهتمامه باللغة

لم يكن تفسير ابن عاشور كتب في تفسير فحسب، بل يمكن اعتباره كتاب لغة، بل كتاب في أساليب اللغة عامة، لأنه اشتمل على النحو والصرف والبلاغة. ووظّف بنجاح علوم اللغة لصالح فهم القرآن الكريم، زد على ذلك أنه اهتم بتوضيح معاني الأدوات النحوية، وذكّر بمعانيها البلاغية التي قامت بها. وهذا ما سنتبينه من خلال بعض الأمثلة :

في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ...﴾[٣٨] . قال الشيخ في تفسيره : "(يا) حرف للنداء وهو أكثر حروف النداء استعمالاً فهو أصل حروف النداء، ولذلك لا يقدر غيره عند حذف حرف النداء ولكونه أصلاً كان مشتركاً.

و(أيٌّ) في الأصل نكرة تدل على فرد من جنس اسم يتصل بها بطريق الإضافة، نحو : أيُّ رجل أو بطريق الإبدال نحو : يأيها الرجل، ومنه ما في الاختصاص كقولك لجليسك: أنا كفيت مهتمك أيها الجالس عندك، وقد ينادون المنادى باسم جنسه أو بوصفه لأنه طريق معرفته، أو لأنه أشمل لإحضاره، كما هنا فربما يؤتى بالمنادى حينئذٍ نكرة مقصودة أو غير مقصودة، وربما يأتون باسم الجنس أو الوصف معرفاً باللام الجنسية إشارة إلى تطرق التعريف إليه على الجملة تفنناً فجرى استعمالهم أن يأتوا حينئذٍ مع اللام باسم إشارة إغراقاً في تعريفه، ويفصلوا بين حرف النداء والاسم المنادى حينئذٍ بكلمة (أيّ) وهو تركيب غير جار على قياس اللغة ولعله من بقايا استعمال عتيق.

وقد اختصروا اسم الإشارة فأبقوا (هَا) التنبيهية وحذفوا اسم الإشارة، فأصل

٣٦- سورة لقمان : الآية ١٣.

٣٧- المصدر السابق. التحرير والتنوير. جـ١، ص٥١.

٣٨- سورة البقرة : الآية ٢١.

يأيها الناس يأيهؤلاء وقد صرحوا بذلك في بعض كلامهم كقول الشاعر الذي لا نعرفه: "أيهذَانِ كُلا زاديكما". وربما أرادوا نداء المجهول الحاضر الذات أيضاً بما يدل على طريق إحضاره من حالة قائمة به باعتبار كونه فرداً من جنس فتوصلوا لذلك باسم الموصول الدال على الحالة بصلته والـــدال على الجنسية لأن الموصـــول يأتي لما تأتي له اللام فيقحمون أيًّا كذلك نحو ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ ﴾ [٣٩].

(والناس) اسم جمع نودي هنا وعرف بأل يشمل كل أفراد مسماه لأن الجموع المعرفة باللام للعموم ما لم يتحقق عهد كما تقرر في الأصول واحتمالها العهد ضعيف إذ الشأن عهد الأفراد. فلذلك كانت في العموم أنص من عموم المفرد المحلى بأل.

(اعبدوا) فالمخاطب بالأمر بالعبادة المشركون من العرب والدهريون منهم وأهل الكتاب والمؤمنون كل بما عليه من واجب العبادة من إثبات الخالق ومن توحيده، ومن الإيمان بالرسول، والإسلام للدين والامتثال لما شرعه إلى ما وراء ذلك كله حتى منتهى العبادة ولو بالدوام والمواظبة بالنسبة إلى الرسول ﷺ والمؤمنين معه فإنهم مشمولون للخطاب على ما تقرر في الأصول، فالمأمورية هي القدر المشترك حتى لا يلزم استعمال المشترك في معانيه عند من يأبى ذلك الاستعمال. وإن كنا لا نأباه إذا صلح له السياق بدليل تفريع قوله بعد ذلك : "فلا تجعلوا لله أنداداً" على قوله : "اعبدوا ربكم". فليس في هذه الآية حجة للقول بخطاب الكفار بفروع الشريعة لأن الأمر بالعبادة بالنسبة إليهم إنما يُعنَى به الإيمان والتوحيد وتصديق الرسول، وخطابهم بذلك متفق عليه وهي مسألة سمجة.

(والرب) إما مصدر، وإما صفة مشبهة على وزن "فَعْل" مِنْ رَبَّه يَرُبُّه بمعنى : رباه وهو رَب بمعنى مُرَب وسائس. والتربية: تبليغ الشيء إلى كماله تدريجاً، ويجوز أن يكون من ربه بمعنى ملَكَه. فإن كان مصدراً على الوجهين فالوصف به للمبالغة، وهو ظاهر، وإن كان صفة مشبهة على الوجهين فهي واردة على القليل في أوزان الصفة المشبهة فإنها لا

٣٩- سورة الحجر : الآية ٦.

تكون على فَعْل من فعَل يفعُل إلا قليلاً، من ذلك قولهم : نمّ الحديث ينُمُّه فهو نَمٌّ للحديث، غير ابن عاشور يرجح الاشتقاق. الأظهر أنه مشتق من ربَّه بمعنى رباه وساسه، لا من ربه بمعنى ملكه لأن الأول الأنسب بالمقام هنا إذ المراد أنه مدبر الخلائق وسائس أمورها ومبلغها إليه غاية كمالها.

ويرجح ابن عاشور ما ذهب إليه بقوله : ولأنه لو حمل على معنى المالك لكان قوله تعالى بعد ذلك "ملك يوم الدين" كالتأكيد، والتأكيد خلاف الأصل، ولا داعي إليه هنا، إلا أن يجاب بأن العالمين لا يشمل إلا عوالم الدنيا، فيحتاج إلى بيان أنه ملك الآخرة، كما أنه ملك الدنيا، وإن كان الأكثر في كلام العرب ورود الرب بمعنى الملك والسيد وذلك الذي دعا صاحب «الكشاف» إلى الاقتصار على معنى السيد والملك وجوز فيه وجهي المصدرية والصفة.

وهو لم يقل اعبدوا الله، لأن في الإتيان بلفظ الرب إيذاناً بأحقية الأمر بعبادته. فإن المدبر لأمور الخلق هو جدير بالعبادة لأن فيها معنى الشكر وإظهار الاحتياج. وإفراد اسم الرب دل على أن المراد رب جميع الخلق وهو الله تعالى إذ ليس ثمة رب يستحق هذا الاسم بالإفراد والإضافة إلى جميع الناس إلا الله، فإن المشركين وإن أشركوا مع الله آلهة إلا أن بعض القبائل، كان لها مزيد اختصاص ببعض الأصنام، كما كان لثقيف مزيد اختصاص باللات كما تقدم في سورة الفاتحة وتبعهم الأوس والخزرج.

وقوله : (اعبدوا ربكم) صريحاً في أنه دعوة إلى توحيد الله، ولذلك فقوله : "الذي خلقكم" زيادة بيان لموجب العبادة، أو زيادة بيان لما اقتضته الإضافة من تضمن معنى الاختصاص بأحقية العبادة.[٤٠]

٤٠- محمد الطاهر ابن عاشور. التحرير والتنوير. جـ١، ص٣١٩.

اهتمامه بالأحاديث النبوية

كما فسّر القرآن بعضه ببعض، فكذلك جاءت السنة مفسرة لكثير من آيات القرآن. وإذا رجعنا إلى كتاب الله، وجدناه يشهد بذلك، فقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٤١]، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [٤٢]، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾.[٤٣]

فللسنة أثر عظيم في إظهار المراد من الكتاب وفي إزالة ما قد يقع في فهمه من خلاف أو شبهة، وبيان السنة للقرآن له أوجه عدة منها :

١- تفصيل المجمل

٢- تقييد المطلق

٣- تخصيص العام

وكذلك أن تأتي بحكم جديد ليس في القرآن، وأن تكون مطابقة للقرآن فتكون مؤكدة له ويكون الحكم مستمداً من مصدريَن الكتاب مثبتاً له والسنة مؤيدة، ومن ذلك الأحاديث الدالة على وجوب الصلاة والصوم وبر الوالديَن وتحريم الشرك وشهادة الزور وغيرها.[٤٤]

والحديث يساق عنده إما لتفسير معنى لفظة في الآية أو أن يعاضد الآية ويساندها فيما ترمي إليه في مجال الاستشهاد والشرح، ومن نماذج ذلك : ﴿ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [٤٥].

٤١- سورة النحل : الآية ٤٤.

٤٢- سورة الشورى : الآية ٥٢.

٤٣- سورة الحشر : الآية ٧.

٤٤- أبو اليقظة عطية الجبوري. دراسات في التفسير ورجاله. بيروت : دار الندوة الجديدة، ١٩٨٦م. ص٣٤ - ٣٦.

٤٥- سورة البقرة : الآية ١٨٧.

قال الشيخ : "روى البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم قال : "لما نزلت ﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ﴾ عمدت إلى عِقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي الأبيض من الأسود فغدوت على رسول الله فذكرتُ له ذلك فقال رسول الله : إن وِسادَك لعَرِيض، وفي رواية : إنك لعَرِيض القفا، إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار".[٤٦]

اهتم الشيخ ابن عاشور بالحديث اهتماماً كبيراً وأولاه عناية فائقة في كتاب التحرير والتنوير. وقد تميز منهج الشيخ ابن عاشور في تناول الحديث الشريف بملامح متباينة وهي الآتي :

١- أن يذكر الحديث النبوي دون الإشارة إلى مصدره، ففي معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء ﴾[٤٧]. قال الشيخ في مجال الاستشهاد بالحديث : «المستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم»[٤٨] يعني إذا تكلم فعليه أداء أمانة النصحية.[٤٩]

٢- أن يذكر الحديث مشيراً إلى المصدر والمرجع، وإن كان لا يُعنى بذكر درجته من الصحة والضعف، أو التعليق على رجال الحديث. من ذلك مثلاً : جاء في شرحه في مجال ذكر اسم حواء في قوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ ﴾.[٥٠] قال الشيخ :

٤٦- محمد الطاهر ابن عاشور. التحرير والتنوير. جـ١، ص٧٦٨.

٤٧- سورة البقرة : الآية ٢٠.

٤٨- أخرجه أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني في سننه. تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت : دار الفكر، د. ط، ١٩٨٠م)، كتاب الآدب، باب المسورة، جـ٤، ص٣٣٣؛ وأخرجه الترمذي، محمد = بن عيسى أبو عيسى السلمي في سننه. تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون (القاهرة : دار الحديث، ط١، ١٩٩٩م)، كتاب الآدب، باب إن المستشار مؤتمن، جـ٥، ص١٢٥. وقال أبو عيسى : هذا الحديث حسن؛ وأخرجه القزويني، محمد بن يزيد أبو عبد الله في سننه. تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت : دار المكتبة، د. ط، ١٩٨٠م)، كتاب الآدب، باب المستشار مؤتمن، جـ٢، ص١٢٣٣.

٤٩- المصدر السابق. التحرير والتنوير. جـ١، ص٤٠٢.

٥٠- سورة البقرة : الآية ٣٥.

"ولم يرد اسم زوج آدم في القرآن، واسمها عند العرب حواء. وورد ذكر اسمها في حديث رواه ابن سعد في «طبقاته» عن خالد بن خداش عن ابن وهب يبلغ به رسول الله ﷺ أنه قال : "الناس لآدم وحواء كطف لصاع لن يملأوه" [٥١] الحديث (طف المكيال بفتح الطاء وكسرها ما قرب من ملئه) أي هم لا يبغون الكمال فإن كل كمال من البشر قابل للزيادة. وخالد بن خداش بصري وثقه ابن معين وأبو حاتم وسليمان بن حرب وضعفه ابن المديني.[٥٢]

٣ – أن يذكر درجة الحديث الصحيح. ففي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٥٣]. قال الشيخ : "وفي الحديث الصحيح «الصَّوْمُ جُنّة» أي وقاية ولما تُرك ذكر متعلّق جُنّة تعيّن حمله على ما يصلح له من أصناف الوقاية المرغوبة، ففي الصوم وقاية من الوقوع في المآثم، ووقاية من الوقوع في عذاب الآخرة، ووقاية من العِلل والأدْواء الناشئة عن الإفراط في تناول اللذات." [٥٤]

اهتمامه بالفقه

يعد ابن عاشور واحداً من الفقهاء المجتهدين المنتمين إلى المدرسة المالكية في الفقه الإسلامي. وقد يطلق كثير من العلماء على مذهب الإمام مالك اسم "مذهب

٥١– أخرجه أحمد، ابن حنبل أبو عبد الله الشيباني في مسنده (بيروت : مكتب إسلامي، ط٤، ١٩٨٣م)، جـ٤، ص١٤٥ : أن رسول الله قال : "أنسابكم هذه ليست بسباب على أحد وإنما أنتم ولد آدم طف الصاع لم تملوه ليس لأحد فضل إلا بالدين أو عمل الصالح حسب الرجل أن يكون فاحشاً بذيلاً بخيلاً جباناً".

٥٢– محمد الطاهر ابن عاشور. التحرير والتنوير. جـ١، ص٤٢٩.

٥٣– سورة البقرة : الآية ١٨٣ .

٥٤– أخرجه البخاري، محمد بن اسماعيل أبو عبد الله في صحيحه. تحقيق : د. مصطفى ديب البغا (بيروت : دار ابن كثير، ط٣، ١٩٨٧م)، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، جـ٤، ص١٠٣.

أهل الأثر". وهذه التسمية تسبغ على منهجه صفة انفرد بها عن غيره من المذاهب. فالإمام مالك المحدث أو أمير المؤمنين في الحديث، لا بد أن يكون بناء منهج فقهه أولا وقبل كل شيء على التوسع في الاعتماد على الحديث والأثر بعد القرآن الكريم.

هناك عدد من الآيات القرآنية يستطيع ابن عاشور كفقيه استنتاج وانتزاع أصول مذهبه. والدليل على ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُواْ وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٥٥]. قال الشيخ : "من هذه الآية يؤخذ حكم مؤاخذة المجتهد إذا قصّر في فهم ما هو مدلول لأهل النظر، وقد غضب النبي ﷺ من سؤال الذي سأله عن ضالة الإبل بعدَ أن سأله عن ضالة الغنم، فأجابه : «هي لكَ أو لأخيك أو للذئب». فلما سأله بعد ذلك عن ضالّة الإبل تَمَعّر وجهه وقال : «مالَكَ ولها معها حذاؤها وسقاؤها تَشرب الماءَ وترعَى الشجرَ حتى يلقاها ربها»[٥٦] وروى مالك، في «الموطأ»، أن أبا هريرة مرّ بقومٍ محرمين فاستفتوه في لَحْم صيد وجدوا أناساً أحلت أكلنه، فأفتاهم بالأكل منه ثم قدم المدينة فسأل عُمر بن الخطاب عن ذلك، فقال له عمر بمَ أفتيتَهم قال: أفتيتهم بأكله فقال: «لو أفتيتهم بغير ذلك لأوْجَعْتُك»[٥٧]. [٥٨]

فالشيخ ابن عاشور باعتباره مالكي المذهب يسلك في غالب الأحيان ملكة الترجيح لمذهبه المالكي، حيث يتدخل أحياناً برأيه وينتصر لمذهبه في غير تعصب، إنما لوجود مرجح قوي يستند إليه ويبني نقده وترجيحه عليه. فمن ذلك، في قوله تعالى :

٥٥- سورة البقرة : الآية ١٠٤.

٥٦- أخرجه مسلم، ابن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، في صحيحه. تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت : دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٩٨٤م)، كتاب اللقطة، جـ٣، ص١٣٤٨؛ وأخرجه مالك، بن أنس أبو عبد الله في الموطأ. تحقيق : جميل العطار (بيروت : دار الفكر، ط٣، ٢٠٠٢م)، كتاب الأقضية، ص٤١٥.

٥٧- أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الحج، ص١٨٣.

٥٨- محمد الطاهر ابن عاشور. التحرير والتنوير. جـ٩، ص٢٦٧ - ٢٦٨.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.[٥٩]

قال الشيخ : "واعلم أن حكمة تحريم الميتة فيما أرى هي أن الحيوان لا يموت غالباً إلاّ وقد أصيب بعلة والعلل مختلفة، وهي تترك في لحم الحيوان أجزاء منها. فإذا أكلها الإنسان قد يخالط جزءاً من دمه جراثيم الأمراض، مع أن الدم الذي في الحيوان إذا وقفت دورته غلبت فيه الأجزاء الضارة على الأجزاء النافعة، ولذلك شرعت الذكاة لأن المذكى مات من غير علة غالباً ولأن إراقة الدم الذي فيه تجعل لحمه نقياً مما يخشى منه أضرار. ومن أجل هذا قال مالك في الجنين : إن ذكاته ذكاة أمه؛ لأنه لاتصاله بأجزاء أمه صار استفراغ دم أمه استفراغاً لدمه ولذلك يموت بموتها فسلم من عاهة الميتة وهو مدلول الحديث الصحيح «ذكاة الجنين ذكاة أمه»[٦٠] وبه أخذ الشافعي، وقال أبو حنيفة : لا يؤكل الجنين إذا خرج ميتاً فاعتبر أنه ميتة لم يذكَّ، وتناول الحديث بما هو معلوم في الأصول، ولكن القياس الذي ذكرناه في تأييد مذهب مالك لا يقبل تأويلاً.[٦١]

وكذلك اقتصر ابن عاشور على مذهب مالك في بعض الأحيان وبعض فقهاء المذهب المالكي في المسألة في أحيان أخرى بعرض آرائهم دون التعقيب عليها مما يوحى بموافقاته وقبوله لها، هذا لا يعني أنه متعصب مبتصر، إنما جرياً ورآء الدليل والحجة من القرآن والسنة وعمل الصحابة والتابعين، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[٦٢]. قال الشيخ : "وروي عن مالك كراهة سفر المرأة في البحر للحج والجهاد، قال ابن عبد البر وحديث أم حرام

٥٩- سورة البقرة : الآية ١٧٣.

٦٠- أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الذبائح ذكاة ما في بطن الذبيحة، ص٢٠٣.

٦١- المصدر السابق. التحرير والتنوير. جـ٢، ص١١٧.

٦٢- سورة البقرة : الآية ١٦٤.

يرد هذه الرواية ولكن تأولها أصحابه بأنه كره ذلك لخشية اطّلاعهن على عورات الرجال لعسر الاحتراز من ذلك فخصه أصحابه بسفن أهل الحجاز لصغرها وضيقها وتزاحم الناس فيها مع كون الطريق من المدينة إلى مكة من البر ممكناً سهلاً، وأما السفن الكبار كسفن أهل البصرة التي يمكن فيها الاستتار وقلة التزاحم فليس بالسفر فيها للمرأة بأس عند مالك".[٦٣]

وفي بعض الأحيان، يأخذ ببعض الآراء على غير مذهب مالك، مثل في قول الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ﴾ [٦٤] الشيخ : "واتفق الفقهاء على أنّ الصدقة المفروضة أعني الزكاة لا تعطى للكفّار، وحكمة ذلك أنّها إنّما فرضت لإقامة أوَد المسلمين ومواساتهم ، فهي مال الجامعة الإسلامية يؤخذ بمقادير معيّنة، ففيه غنَى المسلمين، بخلاف ما يعطيه المرء عن طيب نفس لأجل الرأفة والشفقة. واختلفوا في صدقة الفطر، فالجمهور ألحقوها بالصدقات المفروضة، وأبو حنيفة ألحقها بصدقة التطوّع فأجاز إعطائها إلى الكافر. ولو قيل ذلك في غير زكاة الفطر كان أشْبَه، فإنّ العيد عيد المسلمين، ولعله رآها صدقةَ شكر على القدرة على الصيام، فكان المنظور فيها حال المتصدِّق لا حال المتصدَّق عليه. وقول الجمهور أصح لأنّ مشروعيتها لكفاية فقراء المسلمين عن المسألة في يوم عيدهم وليكونوا في ذلك اليوم أوسع حالاً منهم في سائر المدة، وهذا القدر لا تظهر حكمته في فقراء الكافرين.[٦٥]

أما في الفقه المقارن، فكان يذكر مذاهب الصحابة والتابعين، وأئمة المذاهب الكبرى ثم يعرض للحكم الفقهي من زوايا عديدة ثم يرجح الرأي الذي يميل إليه، ففي قوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ

٦٣- محمد الطاهر ابن عاشور. التحرير والتنوير. جـ٢، ص٨٢.

٦٤- سورة البقرة : الآية ٢٧٢.

٦٥- التحرير والتنوير. جـ٣، ص٧٣.

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [٦٦]. قال الشيخ : "فاتّفق الفقهاء على أنّ أوّل ما يبدأ به في عقوبة السارق أن تقطع يده. فقال الجمهور : اليد اليمنى، وقال فريق: اليد اليسرى، فإن سرق ثانية، فقال جمهور الأيمّة : تقطع رجله المخالفة ليده المقطوعة. وقال عليّ بن أبي طالب : لا يقطع ولكن يحبس ويضرب. وقضى بذلك عمر بن الخطّاب، وهو قول أبي حنيفة. فقال عليّ : إنّي لأستحيي أن أقطع يده الأخرى فبأي شيء يأكُل وَيَسْتَنْجِي أو رِجْلَه فعلى أي شيء يعتمد؛ فإن سرق الثّالثة والرّابعة فقال مالك والشّافعي : تقطع يده الأخرى ورجلُه الأخرى، وقال الزهري : لم يبلغنا في السنّة إلاّ قطع اليد والرّجل لا يزاد على ذلك، وبه قال أحمد بن حنبل، والثّوري، وحمّاد بن سلمة. ويجب القضاء بقول أبي حنيفة، فإنّ الحدود تُدرأ بالشبهات وأيّ شبهة أعظم من اختلاف أيمّة الفقه المعتبرين." [٦٧]

اهتمامه بالعقيدة

الشيخ ابن عاشور في عقيدته سني أشعري، وهو إن كان ينتصر لمذهبه السني في كثير من الأحيان ويدافع عنه إلا أنه يختلف مع الكثيرين في بعض مسائل العقيدة. فإن هذا الاختلاف لا يفسد للود قضية لدى الشيخ ابن عاشور بمعنى أنه لا يتسرع في إصدار الأحكام المضادة على الطرف الآخر. فهو يرى أنه لا مانع من الاختلاف مادام الجميع ينضوون تحت حظيرة الإسلام.

وانطلاقاً من أنه سني العقيدة، أشعري، واعتماداً على أن حرية الفكر والعقيدة مكفولة للجميع، وليست حكراً على أحد دون أحد، فقد جعل من تفسيره مجال رحب لنصرة عقيدته، وجعل منه حلبة نازل فيها المعتزلة والباطنية والخوارج وكل من اختلف معه في العقيدة، راداً عليهم الكثير من اعتقاداتهم وآرائهم لكن في هوادة ولين ودون أن

٦٦- سورة المائدة : الآية ٣٨.

٦٧- محمد الطاهر ابن عاشور. التحرير والتنوير. جـ٦، ص١٩٢.

يأخذه التعصب لمذهبه مآخذ بعيدة، لذا كان أسلوبه الفكري يتم بالتسامح، فهو يتوقف لدى الآيات التي تثير جدالاً عقائدياً، فيوضحها ويشرحها مبيناً موقف من يتبع هذه الفرقة أو تلك في هذه المسألة، ثم يبين رأي أهل السنة من السلف والخلف مع بيان رأيه أيضاً.[٦٨] ومثل من ذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.[٦٩]

قال الشيخ : "الكفر أصله جَحْد المنعَم عليها نعمةَ المنْعِم، وضده الشكر، أما إطلاقه في السنة وفي كلام أئمة المسلمين فهو الاعتقاد الذي يخرج معتقده عن الإسلام وما يدل على ذلك الاعتقاد من قول أو فعل دلالة لا تحتمل غير ذلك. وقد ورد إطلاق الكفر في كلام الرسول وكلام بعض السلف على ارتكاب جريمة عظيمة في الإسلام إطلاقاً على وجه التغليظ بالتشبيه المفيد لتشنيع ارتكاب ما هو من الأفعال المباحة عند أهل الكفر".[٧٠]

كانت هذه حقيقة الكفر لدى المذهب السني، وهو ما يرتضيه الشيخ ابن عاشور. وهذه حقيقة الكفر التي يعتقد بها الشيخ ابن عاشور ويريد أن يثبتها من خلال تفسير التحرير والتنوير ليس ما ذهبت إليه بعض الفرق المسلمة كما يرى الشيخ، إذ يقول : "ولكن بعض فرق المسلمين يتشبثون بظاهر ذلك الإطلاق فيقضون بالكفر على مرتكب الكبائر ولا يلتفتون إلى ما يعارض ذلك في إطلاقات كلام الله ورسوله".[٧١]

وقال الشيخ ابن عاشور : "فرق المسلمين يختلفون في أن ارتكاب بعض الأعمال المنهي عنها يدخل في ماهية الكفر وفي أن إثبات بعض الصفات لله تعالى أو نفي بعض

٦٨- هايا ثامر مفتاح العلي. الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير، ص٤٠٩.

٦٩- سورة البقرة : الآية ٢٨.

٧٠- التحرير والتنوير. جـ١، ص٣٧٥.

٧١- محمد الطاهر ابن عاشور. التحرير والتنوير، جـ١، ص٣٧٥.

الصفات عنه تعالى داخل في ماهية الكفر على مذاهب شتى. ومذهب أهل الحق من السلف والخلف أنه لا يكفّر أحد من المسلمين بذنب أو ذنوب من الكبائر، فقد ارتكبت الذنوب الكبائر في زمان رسول الله، والخلفاء فلم يعاملوا المجرمين معاملة المرتدين عن الدين، والقول بتكفير العصاة خطر على الدين لأنه يؤول إلى انحلال جامعة الإسلام. ولا يكفر أحد بإثبات صفة لله لا تنافي كماله ولا تنفي صفة عنه ليس في نفيها نقصان لجلاله فإن كثيراً من الفرق نفوا صفات ما قصدوا بنفيها إلا إجلالاً لله تعالى وربما أفرطوا في ذلك كما نفى المعتزلة صفات المعاني وجواز رؤية الله تعالى، وكثير من الفرق أثبتوا صفات ما قصدوا من إثباتها إلا احترام ظواهر كلامه تعالى كما أثبت بعض السلف اليد والإصبع مع جزمهم بأن الله لا يشبه الحوادث".[٧٢]

ويرى ابن عاشور أن "مسألة التكفير" ليست بالأمر السهل حتى نطلقه جرافاً على كل من خالفنا الرأي والعقيدة، هو وإن كان يختلف مع هؤلاء إلا أنه لا يتسرع في إطلاق "لفظ الكفر" عليهم.

اهتمامه بمقاصد الشريعة

يمكن تحديد طريقة ابن عاشور فى توظيف مفهوم "المقاصد" فى شكلين :

الأول : تقصيد النصوص والأحكام

يتجه الذهن فى "التقصيد" إلى ضبط نوعين من المقاصد الشرعية : الأول مقاصد الشارع من خطابه، والثانى : مقاصده من أحكامه. يروم الفهم فى هذا المستوى إلى إفراغ الباحث جهده العلمى فى استجلاء الإدارة الشرعية من النصوص والأحكام. وهذا المصطلح "التقصيد" مستعار من الإمام الشاطبي، حيث يلزم فى نظره كلاً من الناظر فى القرآن، والمفسر له، والمتكلم عليه، أن يكون على بال من "أن ما يقوله تقصيد منه للمتكلم،

٧٢- المصدر نفسه. جـ١، ص٣٨٠.

والقرآن كلام الله، فهو يقول بلسان بيانه هذا مراد الله من هذا الكلام.[٧٣] فمثلاً في قوله تعالى : ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ... فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾.[٧٤] يدل النص على أنه عند افتقاد الماء يرخص فى التيمم، والمقصد الشرعى من حكم الرخصة بالنسبة لعادم الماء أو عند العجز هو التنبيه على عظم قدر الصلاة، لأنها من قبيل المقاصد الشرعية، لذلك تأكد وجوب التطهر لها بوسيلة الماء، فإن عدمت التجأ إلى وسيلة التيمم التى أقامها الشارع مقام الطهارة. والمقصد من ذلك ألا يستشعر المسلم أنه يناجى ربه بدون تطهر، وحتى لا تفوته نية التطهر للصلاة ، فلا يفوته ذلك المعنى المنتقل به من طهارة الظاهر إلى طهارة الباطن، وحتى لا يظن أن أمر الطهارة هين، وفى إقامة ذلك العمل مقام الطهارة تذكير مستمر بها حتى لا ينسى العود إليها عند زوال ما منعه منها.[٧٥] واضح مما سبق أهمية مفهوم "المقاصد عند ابن عاشور، إذ لا يقتصر تقصيده على الأحكام الشرعية التكليفية بل يتجاوزها إلى نصوص الترغيب والترهيب والقصص والتحليل البلاغى واللغوى للآيات القرآنية.

الثانى : الاستدلال على الدلالات والأحكام الشرعية

يعكس الاستدلال فى صورة متكاملة الغاية المنهجية للفكر، ففيه التنظيم المؤسس على قراءات نظرية ووسائل منهجية، وفيه التركيب لأن كل استدلال يتحتم توفره على ثلاث عناصر هى مقدمة يستدل بها، ونتيجة لازمة عن تلك المقدمات، وعلامة منطقية بين المقدمات والنتيجة. وتستند مقدمات الاستدلال هنا على مقاصده من خطابه أو مقاصده من أحكامه. فمن ذلك قوله تعالى : ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾.[٧٦] يرى ابن عاشور أن "الآية تومئ إلى أن المقصد الشرعى من وسيلتي إراقة الدماء وتقطيع اللحوم هو

٧٣- إبراهيم بن موسى أبو إسحاق الشاطبي. الموافقات في أصول الفقه. تحقيق : عبد الله دراز. بيروت: دار المعرفة، د. ط جـ١، ص٣٦٩.

٧٤- محمد الطاهر ابن عاشور. التحرير والتنوير، جـ٦، ص٧٧.

٧٥- المصدر نفسه. جـ٦، ص٧٤.

٧٦- سورة الحج : الآية ٣٧.

انتفاع الناس المهدين بالأكل منها فى يوم العيد، وغيرهم بالأكمل مما يهديه إليهم أقاربهم وأصحابهم". لذا فهو يرى "المصير إلى كلا الحالين من البيع والتصبير لما فضل عن حاجة الناس فى أيام الحج لينتفع بها المحتاجون فى عامهم، وهذا أوفق بمقصد الشارع تجنباً لإضاعة ما فضل منها رعياً لمقصد الشريعة من نفع المحتاج وحفظ الأموال، مع عدم تعطيل النحر والذبح للقدر المحتاج إليها منها، المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ فاذكروا اسم الله عليها صواف ﴾ جمعاً بين المقاصد الشرعية.[٧٧]

اهتمامه بالدعو والإرشاد

بادىء ذي بدء يجب أن ننوه بأن الشيخ ابن عاشور مفسر معاصر، وهو أحد رواد المدرسة العقلية الحديثة في التفسير. والشيخ وإن ساير منهج هذه المدرسة في بعض الأحيان، وفارقها في أحيان كثيرة إلا أنه في النهاية لا يستطيع الإفلات من دائرة التأثر بشكل أو بآخر بأهداف واتجاهات هذه المدرسة. وقد اتخذ أصحاب هذه المدرسة فكرة اتخاذ الهداية القرآنية محوراً لمحاولاتهم التفسيرية. فهداية القرآن أساس دعوته وأصل أصوله وعنها تفرعت آدابه وشرائعه وبها قامت أركان علومه ومعارفه.[٧٨]

وقد استخلص الشيخ ابن عاشور وسائل وأساليب الدعوة الواجب على الداعية المسلم اتباعها، فحددها في ثلاث طرق من هذه الآية الكريمة : ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[٧٩]. إن كل من يقوم مقاماً من مقامات الرسول في إرشاد المسلمين أو سياستهم يجب عليه أن يكون سالكاً للطرائق الثلاث : الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، وإلا كان منصرفاً عن الآداب الإسلامية وغير خليق بما

٧٧- التحرير و التنوير، جـ١٧، ص٢٦٧.

٧٨- محمد إبراهيم شريف. اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم. القاهرة : دار التراث، ط١، ١٩٨٢م. ص٣٠٩.

٧٩- سورة النحل : الآية ١٢٥.

هو فيه من سياسة الأمّة، وأن يخشى أن يعرّض مصالح الأمّة للتلف، فإصلاح الأمّة يتطلّب إبلاغ الحقّ إليها بهذه الوسائل الثلاث.[٨٠] ومن ثم ينتقل الشيخ إلى تعريف كل طريقة على حدة فيقول عن :

فالحكمة : هي المعرفة المُحكمة، أي الصائبة المجرّدة عن الخطأ، فلا تطلق الحكمة إلا على المعرفة الخالصة من شوائب الأخطاء وبقايا الجهل في تعليم الناس وفي تهذيبهم. ولذلك عرّفوا الحكمة بأنها : معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه بحسب الطاقة البشرية بحيث لا تلتبس على صاحبها الحقائق المتشابهة بعضها ببعض ولا تخطىء في العلل والأسباب. وهي اسم جامع لكل كلام أو علم يراعى فيه إصلاح حال الناس واعتقادهم إصلاحاً مستمراً لا يتغيّر.[٨١] قال الله تعالى : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾.[٨٢]

وقد ذكر الله الحكمة في مواضع كثيرة من كتابه مراداً بها ما فيه صلاح النفوس، من النبوء، والهدى والإرشاد. وللحكمة في الدين أربعة صور أو أنواع :

أحدها : معرفة الله حق معرفته وهو علم الاعتقاد الحق، ويسمّى عند اليونان العلم الإلهيّ أو ما وراء الطبيعة.

الثاني : ما يصدر عن العلم و به كمال نفسية الإنسان، وهو علم الأخلاق.

الثالث : تهذيب العائلة، وهو المسمّى عند اليونان علم تدبير المترل.

الرابع : تقويم الأمة وإصلاح شؤونها وهو المسمّى علم السياسة المدنية، وهو مندرج في أحكام الإمامة والأحكام السلطانية. ودعوةُ الإسلام في أصوله وفروعه لا تخلو من شعبة من شعب هذه الحكمة.[٨٣]

والموعظة : القول الذي يلين نفس المقول له لعمل الخير. وهي أخصّ من الحكمة

٨٠- محمد الطاهر ابن عاشور. التحرير والتنوير. جـــ١٤، ص٣٣٤.

٨١- المصدر نفسه. التحرير والتنوير. جـــ١٤، ص٣٢٧.

٨٢- سورة البقرة : الآية ٢٦٩.

٨٣- محمد الطاهر ابن عاشور. التحرير والتنوير. جـــ٣، ص٦٢ - ٦٣.

لأنها حكمة في أسلوب خاص لإلقائها. وتقدمت عند قوله تعالى : ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ ﴾ [٨٤].

وعند قوله : ﴿ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [٨٥]، وعلى أن تكون الحكمة ليّنة وحسنة ومقبولة عند الناس، أي حسنة في جنسها، وإنما تتفاضل الأجناس بتفاضل الصفات المقصودة منها. وعطف الموعظة على «الحكمة» لأنها تغاير الحكمة بالعُموم والخصوص الوجهي، فإنه قد يسلك بالموعظة مسلك الإقناع، فمن الموعظة حكمة، ومنها خطابة، ومنها جدل.[٨٦]

والمجادلة : الاحتجاج لتصويب رأي وإبطال ما يخالفه أو عمل كذلك. ولما كان ما لقيه النبي من أذى المشركين قد يبعثه على الغلظة عليهم في المجادلة فقد أمره الله بأن يجادلهم بالتي هي أحسن. وتقدمت قريباً عند قوله : ﴿ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾ [٨٧]. وتقدمت من قبل عند قوله : ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ [٨٨]. والمعنى : إذا ألجأتك الدعوة إلى محاجّة المشركين فحاججهم بالتي هي أحسن.

والمفضل عليه المحاجّة الصادرة منهم، فإن المجادلة تقتضي صدور الفعل من الجانبين، فعلم أن المأمور به أن تكون المحاجّة الصادرة منه أشدّ حسناً من المحاجّة الصادرة منهم، كقوله تعالى : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [٨٩]. ولما كانت المجادلة لا تكون إلا مع المعارضين صرّح في المجادلة بضمير جمع الغائبين المراد منه المشركون، فإن المشركين متفاوتون في كيفيات محاجتهم، فمنهم من يحاجّ بلين.[٩٠]

٨٤- سورة النساء : الآية ٦٣.

٨٥- سورة الأعراف : الآية ١٤٥.

٨٦- المصدر السابق. التحرير والتنوير. جـ١٤، ص٣٢٦.

٨٧- سورة النحل : الآية ١١١.

٨٨- سورة النساء : الآية ١٠٧.

٨٩- سورة المؤمنون : الآية ٩٦ .

٩٠- المصدر السابق. التحرير والتنوير. جـ١٤، ص٣٢٧.

الخاتمة

بعد هذا الطواف السريع فى حياة ابن عاشور ومرتكزات منهج تفسيره، وهذا التحليل المنهجى لاتجاه ابن عاشور وطريقته التفسيرية ، يمكن تسجيل خلاصة بعض النتائج الرئيسية هنا :

١ – يعد ابن عاشور أحد أعلام الإصلاحيين، الذين اتخذوا التجديد والاجتهاد والإصلاح منهجاً وسبيلاً فى فكرهم وحياتهم. وما تفسيره إلا أحد نتاجات هذه الحركة التجديدية.

٢ – يعتبر تفسير الشيخ ابن عاشور تفسيراً عـــاماً، لا يختص بجانب معين، وإنمـــا مبني على أسس الثلاثة، المأثور، الرأي، واللغة. وإذا أردنا أن نصـــنفه هذه الأسس بحسب أهميتها، فهي : اللغة — الرأي – المأثور.

٣ – يعتبر تفسير التحرير والتنوير في منهجه المعتـــدل تفسيراً منفرداً من حيث المادة العلمية المكثفة في مجال التفسير وعلـــــومه. كما يمـــكن أن نستخرج منه كتباً ودراسات عديـــدة قيمة في علوم القرآن، وفي الفتاوى الإسلامية، والنحو، والبلاغة، والآدابً، وكتباً في الدعوة والإرشاد الهدائي.

٤ – من مرتكزات منهج الشيخ ابن عاشور في تفسيره، هي : اهتمامه بأسباب النزول، واهتمامه باللغة، واهتمامه بالأحاديث النبوية، واهتمامه بالفقه، واهتمامه بالعقيدة، واهتمامه بالمقاصد الشريعة، واهتمامه بالدعوة والإرشاد.

كما يجب القول بأن هذه الدداسة الموجزة ليست إلا خطوة صغيرة فى سبيل تحليل طريقة ابن عاشور ومنهجه التفسيرى، أو فى سبيل دداسة وتحليل أي من رجال

الإصلاح والتجديد الذين ظهروا فى عصرنا الحديث. وهى لذلك بحاجة إلى كثير من التعميق والتوسيع الذى حال دونه طبيعة الدداسة وضيق الزمن. وهذا ما استطعت انجازه. والله أسأل أن يتقبل هذا العمل خالصا لوجه الكريم : "يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم". والله أعلم بالصواب.

المصادر والمراجع

- ابن أبي الضاف، أحمد. اتحاف أهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الأمان. تونس : لجنة من كتابة الدولة لشؤون الثقافة والاخبار، د. ط، ١٩٦٤م.
- ابن الخوجة، محمد. صفحات من تاريخ تونس. تحقيق : حمادي الساحلي والجيلاني بن يحي. بيروت : دار الغربي السلامي، ط١، ١٩٨٦.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. أليس الصبح بقريب. تونس : الشركة التونسية للتوزيع، د. ط، ٩٦٧م.
- ابن عاشور، محمد الفاضل. تراجم الأعلام. تونس : الدار التونسية للشر، د. ط، د. ت.
- ابن عاشور، محمد الفاضل. الحركة الأدبية والفكرية في تونس. القاهرة : نشر معهد الدداسة العربية، د. ط، ١٩٥٦م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. تونس : الدار التونسية للنشر، ط١، ١٩٨٤م.
- ابن عثمان، البشير. أضواء على تاريخ تونس. تونس : دار بوسلامة للطباعة، ط١، د.ت.
- ابن منظور. لسان العرب. بيروت : دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٩٩٩م.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني. سنن أبي داود. تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الفكر، د. ط، ١٩٨٠م.
- أحمد، ابن حنبل أبو عبد الله الشيباني. مسند الإمام أحمد بن حنبل. بيروت: مكتب إسلامي، ط٤، ١٩٨٣م.

- أحمد محمد علي. علوم القرآن والحديث. عمان : دار النشر، د. ط، ١٩٨٤م.
- الأندلسي، محمد بن محمد. الحلل السندسية في الأخبار التونسية. تونس : الدار التونسية للنشر، د. ط، ١٩٧٠م.
- البخاري، محمد بن اسماعيل أبو عبدالله. الجامع الصحيح المختصر. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا. بيروت : دار ابن كثير، ط٣، ١٩٨٧م.
- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي. الجامع الصحيح سنن الترمذي. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون. القاهرة : دار الحديث، ط١، ١٩٩٩م.
- الجبوري، أبو اليقظة عطية. دراسات في التفسير ورجاله. بيروت : دار الندوة الجديدة، ١٩٨٦م.
- الحسني، إسماعيل. نظرية المقاصد عند محمد الطاهر بن عاشور. د. م : المعهد العالمي للفكري الإسلامي، د. ط، ٩٩٥م.
- الذاودي، رشيد. أدباء تونسيون. تونس : د. ن، ط١، ١٩٧٢م.
- الزمرلي، الصادق. أعلم تونسيون. تحقيق : حمادي الساحلي. بيروت : دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٨٦م.
- زيدان، عبد الكريم. الوجيز في أصول الفقه. بيروت : مؤسسة الرسالة، ط٦، ٢٠٠٠م.
- السروجي، محمد. العلاقات التونسية الفرنسية. الإسكندرية : مطبعة المصري، د. ط، د.ت.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى أبو إسحاق. الموافقات في أصول الفقه. تحقيق : عبد الله دراز. بيروت : دار المعرفة، د. ط.

- شريف، محمد إبراهيم. اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم. القاهرة : دار التراث، ط١، ١٩٨٢م.
- الصحبي، العتيق. التفسير والمقاصد عند الشيخ محمد الطاهر بن عاشور. تونس : دار السنابيل، ط١، ١٩٨٩م.
- الطاهر، عبد الله. الحركة الوطنية التونسبة. تونس: دار المعرفة، د. ط، د. ت.
- العلي، هايا ثامر مفتاح. الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير. قطر : دار الثقافة، د. ط، ١٩٩٤م.
- القزويني، محمد بن يزيد أبو عبد الله. سنن ابن ماجه. تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت : دار المكتبة، د. ط، ١٩٨٠م.
- مالك، ابن أنس أبو عبد الله الأصبحي. موطأ الإمام مالك. تحقيق : جميل العطار. بيروت : دار الفكر، ط٣، ٢٠٠٢م.
- محفوظ، محمد. تراجم المؤلفين التونسيين. بيروت : دار الغرب الإسلامي، د.ط، ١٩٨٢م.
- مخلوف، محمد حسين. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. بيروت : دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٣٢م.
- مسلم، ابن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري. صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت : دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٩٨٤م.
- النفير، محمد. عنوان الأريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب. تونس: المطبع التونسية، ١٨٣٥م.